

الأنعام في القرآن الكريم منافع وعبر دراسة موضوعية

أ.د/ أحمد عباس البدوي*

ملخص البحث:

تناول هذا البحث (الأنعام في القرآن الكريم - منافع وعبر مفهوم الأنعام في اللغة وأنواعها في القرآن الكريم، ثم ركزت على بيان منافعها الكثيرة المتنوعة فضلاً من الله ونعمة على بني الإنسان الذي سخر الله له هذا الكون وما فيه.

كما قمت ببيان مافي الأنعام من عبر وعظة تدعو إلى التدبر والتأمل في قدرة الخالق عز وجل الذي خلق كل شيء وهو الذي له الخلق والأمر فتبارك الله أحسن الخالقين، وما على العبد المُنعم عليه بجلال هذه النعم إلا شكر المنعم سبحانه القائل:

(لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم: ٧].

ABSTRACT

This research studied (The cattle in the Holy Quran- benefits and lessons) ,it clarified the definition of cattle in the arabic language and their different kinds.The research then focused on their great benefits for mankind.The research also clarified the lessons and wisdom derived from cattle's creation and life that should lead to deep thinking and meditation in the power of Allah ,the creator who created every thing, " Surely, His is the creation and commandment" Surat Al-A'râf:54, "So Blessed is Allah, the Best of creators"(Surat Al-Mu'minûn (The Believers):14). In addition to that, the research drew attention to the Muslim's duty towards these blessings, to thank Allah and to be grateful "And [remember] when your Lord proclaimed, 'If you are grateful, I will surely increase you [in favor]; but if you deny, indeed, My punishment is severe. " Surat 'Ibrâhîm (Abraham).

المقدمة:

الحمد لله المنعم بجلال النعم، المتفضل على الخلق مِنَّةً منه وكرم، سبحانه لا نُحْصِي ثَنَاءً عليه هو كما أَثْنَى على نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فله الحمد على ما أُولَى مِنَ النِّعَمِ، ونسأله سؤال المضطر أن يزدنا ولا ينقصنا، وأن يُعْطِينَا ولا يَحْرِمَنَا إنه مولى ذلك والقادر عليه.

والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورُسُلِهِ سيدنا محمد الذي بَلَغَ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغُمَّة وجاهد في الله حقَّ جهاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد...

فقد منَّ الله علينا بأن بعث إلينا رسولاً هو نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن الكريم هدى ورحمة للعالمين ورسالة دائمة إلى يوم الدين، حوى خيري الدنيا والآخرة، وكرَّم الإنسان وسخَّرَ له الكون وما فيه (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا...) [إبراهيم: ٣٢-٣٤] سبحانه ربِّي لا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

نظرتُ في آيات كتاب الله تعالى وفي موضوعاتها فلفت نظري ذكر الأنعام التي وردت كثيراً، فأحببتُ أن أكتب بحثاً بعنوان:

الأنعام في القرآن الكريم - منافع وعبر

دراسة موضوعية

ليكون ذلك دافعاً لنا للاستمتاع بهذه النعم وشكر الله عليها، ثم الوقوف على هذه المنافع وأخذ العبر؛ لأن موضوعات القرآن الكريم كثيرة، واختيار موضوع

منها يُعين القارئ على فهم موضوع بعينه والاستفادة منه، وهذا هو المطلوب، أن نفهم القرآن ونتدبره ليحصل لنا بذلك الفهم ثم العمل.
خُطة البحث:

يقوم البحث على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة.

- المقدمة: بينتُ فيها سبب اختيار الموضوع وأهميته.
- المطلب الأول: الأنعام، مفهومها وأنواعها.
- المطلب الثاني: منافع الأنعام.
- المطلب الثالث: العبر من الأنعام.
- الخاتمة.
- الفهارس.

والله ولي التوفيق.

المطلب الأول: الأنعام، مفهومها وأنواعها:

مفهوم الأنعام:

الأنعام في اللغة: مفردها النِّعَم، وَهِيَ الْمَالُ الرَّاعِيَّةُ، وَقِيلَ النِّعَمُ الْإِبِلُ وَالشَّاءُ يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، والجمع أنْعَامٌ، وَأَنَاعِيْمٌ جمعُ الجمع.

وقيل: النعم الإبل خاصة، وقيل الإبل والبقر والغنم، والأول هو الراجح؛ لأن النعم أخص من الأنعام.^(١)

وقد ذكر الله تعالى لفظ الأنعام في إحدى وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، منها ما هو مكي ومنها ما هو مدني، وذلك على النحو الآتي:

فقد ورد ذكرها في سور:

١- آل عمران: (زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ) [آية: ١٤].

٢- النساء: (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمْرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ) [الآية: ١١٩].

٣- المائدة: (أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ) [الآية: ١] وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) [الآية: ٩٥].

٤- الأعراف: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ) [الآية: ١٧٩].

٥- يونس: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ) [الآية: ٢٤].

٦- النحل: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) [الآية: ٥] (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً) [الآية: ٦٦] (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا)

وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْنَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ. [الآية: ٨٠].

٧- طه: (كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى. [الآية: ٥٠]

٨- الحج: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ٤) [الآية: ٢٨] (وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ...) [الآية: ٣٠] (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ...) [الآية: ٣٤].

٩- المؤمنون: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً..) [الآية: ٢١]

١٠- الفرقان: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الآية: ٤٤] وقوله تعالى: (لَنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا. [الآية: ٤٩].

١١- الشعراء: (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ) [الآية: ١٣٣].

١٢- السجدة: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) [الآية: ٢٧].

١٣- فاطر: (وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ.....) [الآية: ٢٨]

١٤- يس: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) [الآية: ٧١].

١٥- الزمر: (خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ [الآية: ٦].

١٦- غافر: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوهَا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) [الآية: ٧٩]

١٧- الشورى: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَزْوَاجًا) [الآية: ١١].

١٨- الزخرف: (وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْإِنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ) [الآية: ١٢].

١٩- محمد: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْإِنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) [الآية: ١٢].

٢٠- النازعات: (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ) [الآية: ٣٣].

٢١- عبس: (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ) [الآية: ٣٢].

وهذه الأنعام ورد ذكرها مفصلة في سورة الأنعام عند قوله تعالى: (وَمِنَ الْإِنْعَامِ حُمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُنِي بِالْعَلَمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الآيات: ١٤٢-١٤٤].

أنواع الأنعام:

فأنواع هذه الأنعام هي كما بيّنها الله عز وجل ثمانية أنواع:

١. من الضأن اثنين: ذكر وأنثى أو قُل كَبِشٍ وَنَعْجَةٍ.
٢. ومن المعز اثنين: ذكر وأنثى أو قُل تَيْسٍ وَعَنْزٍ.
٣. ومن الإبل اثنين: ذكر وأنثى أو قُل جَمَلٍ وَنَاقَةٍ.
٤. ومن البقر اثنين: ذكر وأنثى أو قُل ثَوْرٍ وَبَقَرَةٍ.

ومن قول الله تعالى: (أُجِلَّتْ لَكُمْ بِهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ..) [المائدة: ١] اختلف العلماء في المراد بالأنعام على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: كل الأنعام. قاله السدي والربيع بن أنس وقتادة والضحاك.^(٢)

الوجه الثاني: أنه الإبل والبقر والغنم. قاله ابن عباس والحسن.

الوجه الثالث: أنه الظباء، والبقر، والحمير الوحشية^(٣).

ثم عتب ابن العربي على ذلك في المسألة الثالثة عشرة، حيث قال في المختار: أما من قال: إن النعم هي الإبل والبقر والغنم، فقد علمت صحة ذلك دليلاً وهو أن النعم عند بعض أهل اللغة اسم خاص للإبل يذكر ويؤنث؛ قاله ابن دريد وغيره.

وقد قال الله تعالى: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ...) [النحل: ٥-٧]، وقال تعالى: (وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسًا كُلُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [الأنعام: ١٤٢] (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٣] وقال: (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ) [الأنعام: ١٤٤].

ثم قال: فهذه ثلاثة أدلة تنبئ عن تضمن اسم النعم لهذه الأجناس الثلاثة: الإبل، والبقر، والغنم؛ لتأنيس ذلك كله، فأما الوحشية فلم أعلمه إلى الآن إلا اتباعاً لأهل اللغة^(٤).

إضافة إلى ذلك فقد ذكر القرآن الكريم أفراد الأنعام بأسمائها في كثير من آياته، وهذا الذكر من دلالاته اهتمام القرآن بعالم الحيوان - خاصة الأنعام - سواء كان ذلك من باب تسخيرها للإنسان أو من باب توجيه النظر إلى ملاحظتها، والتفكير فيها للوقوف على بعض أسرارها، وبديع صنعها وعظمة صانعها وخالقها، خاصة فبيئة العربي الصحراوية.

يقول سيد قطب رحمه الله وهو يستظل بقول الله تعالى: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) [النحل: ٥]

(وفي بيئة كالبيئة التي نزل فيها القرآن أول مرة، وأشباهها كثير وفي كل بيئة زراعية والبيئات الزراعية هي الغالبة حتى اليوم في العالم.. في هذه البيئة تبرز نعمة الأنعام، التي لا حياة بدونها لبني الإنسان.

والقرآن إذ يعرض هذه النعمة هنا ينبيه إلى ما فيها من تلبية لضرورات البشر وتلبية لأشواقهم كذلك، ففي الأنعام دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وما إليها^(٥). كما سنوضح ذلك في المطلب الثاني من هذا البحث.

ودعوني أتكم عن نوع من أنواع هذه الأنعام (الإبل من حيث خلقها وتهيتها لما خلقت له ؛ وأنَّ الله سبحانه وتعالى أشار إلى ذلك في شأنها حيث يقول سبحانه: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ [الغاشية: ١٧] أي نظر اعتبار بمخلوقات ومنها الإبل خاصة؛ وذلك لأنها (لفظ يقع على البعيران الكثيرة ولا واحد له من لفظه، والجمع آبال، والتصغير لها أبيلة)^(٦).

إنَّ الأمر القرآني يدعو هنا إلى النظر إلى خلق الإبل (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ [الغاشية: ١٧] أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تكفر واعتبار إلى الإبل كيف خلقها الله خلقاً عجيباً بديعاً يدل على قدرة خالقها؟!!!

وإنما خص الله سبحانه الإبل بالذكر؛ لأنها أفضل دواب العرب وأكثرها نفعاً ولهذا تسمى سفينة الصحراء، فانظر إلي خلقها العجيب فإنها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تتقاد مع الطفل الضعيف، ثم هي تجلس لتضع عليها الحمولة الثقيلة، ثم تقوم بما تحمله مما يعجز عنه العصبة أولو القوة، و صبرها على الجوع والعطش لأيام ثم بلوغها المسافات الطويلة، ورعيها بكل نبات في البراري، وغير ذلك من عجائب الخلق والتكوين^(٧).

ويكشف لنا العلم التجريبي كثيراً من خبايا هذه الأنعام، وبخاصة الإبل، يقول صاحب الموسوعة العلمية: (لو أمعن المرء النظر إلى الجمل لرآه من أبداع المخلوقات إنه أعجوبة في الهندسة التشريحية، فالجمل يُعد وسيلة لا تقدر بثمن في المناطق القاحلة المنبسطة التي تغطي سدس مساحة اليابسة، والتي تستعصى على أقوى المركبات، وفي العالم ما يزيد على خمسة عشر مليوناً من الجمال تزداد باستمرار فكل ما في الجمل متقن الإبداع، للتكيف مع بيئته القاسية، فعينه لها رموش كثيفة مزدوجة تحجب عنها رمال الصحراء المتطايرة، وتتميز بقدرتها على التكبير والتقريب فهي تراه البعيد قريباً، والصغير كبيراً، وهذا سر انقياده لطفل صغير أو لدابة ضعيفة قال سبحانه: (وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) [يس: ٧٢]

وفي إمكان الجمل إغلاق أذنيه، ومنخره للغاية نفسها، أما أخفافه الضخمة فهي تسهل له الحركة على الرمال من دون أن يغرز فيه، وشفتا الجمل مطاطيتان قاسيتان تلتهمان الأشواك الحادة، وهما فعالتان في تجميع الطعام والأشواك، حيث لا يفقد الجمل أي رطوبة بمد لسانه إلى الخارج (أفلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ [الغاشية: ١٧] ومن أبرز مزايا الجمل قلة حاجته إلى الماء، ومع أنه يمكنه أن يشرب ما يملأ حوض استحمام، لكنه يستطيع أن يستغني عن الماء كلياً عشرات الأيام، بل بضعة أشهر، حيث يستطيع في حالات طارئة أن يأخذ ما يحتاج إليه من الماء من أنسجة جسمه فيخسر ربع وزنه من غير أن يضعف عن الحركة، وفي السنام يخزن الجمل من الشحم ما يعادل خمس وزنه، ومنه يسحب ما يحتاج إليه من غذاء، إن لم يجد طعاماً.

الأنعام في القرآن الكريم منافع وعبر

وبيزيد متوسط عمر الجمل على أربعين عاماً، ولا يسلس قياد الجمل إلا إذا عومل بمودة وعطف، وفي هذا عبرة لبني البشر، قال تعالى: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ [الغاشية: ١٧])^(٨).

إنَّ نعم الله على عباده كثيرة لا تُحصى، ومنها هذه الأنعام التي عرفنا بها في هذا المطلب. يقول الدكتور يوسف القرضاوي بعد أن ذكر عدداً من الآيات القرآنية التي يمتن الله سبحانه وتعالى من خلالها على عباده بوجود هذه الأنعام في الأرض لمنافعهم: (هذه هي الأنعام التي خلقها الله للإنسان، مما علمت يده سبحانه، وذللها له، ليركب ظهرها، أو يأكل لحمها أو يشرب لبنها، أو ينتفع بأصوافها وأوبارها وأشعارها، فلا غرو أن يطالب الله مالكيها بالشكر عليها: (أَفَلَا يَشْكُرُونَ)!).

وأبرز مظهر عملي لهذا الشكر الذي حثَّ عليه القرآن الكريم ما جاءت به السنة المطهرة من إيجاب الزكاة فيها. وتحديد نُصُبها ومقادير ما فرض الله فيها، وإرسال السعاة في كل عام إلى أربابها، ليأخذوا ما وجب عليهم فيها، وإنذار مانعيها بعقوبة الدنيا والآخرة^(٩).

بعد هذا العرض لمفهوم الأنعام وبيان أنواعها، وبعض صفات خلقها بالنسبة للإبل، أرجو أن أنتقل بك عزيزي القارئ إلى المطلب الثاني وهو: منافع الأنعام.

المطلب الثاني: منافع الأنعام

بيئنا في المطلب الأول مفهوم الأنعام، وأنواعها، ومظاهر قدرة الخالق جلَّ وعلا في خلقها العجيب، وذكرنا مثلاً لذلك خلق الإبل (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) [الغاشية: ١٧] ونفرد هذا المطلب لبيان منافع الأنعام التي أودعها الله فيها وسخرها للإنسان فضلاً من الله ونعمة.

تعريف المنافع:

المنافع جمع منفعة، وهي خلاف الضرر^(١٠).

ومنافع الأنعام ما ينتفع بها الإنسان في حياته من أكل لحم، وشرب لبن، وركوب وحمل،... لذا قال سبحانه: (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) [النحل: ٥] ومن هذه المنافع:

١. الأكل من لحومها:

إن الأكل من لحوم تلك الأنعام هو الأصل، وأما الأكل من غيرها كالدجاج، والبط وصيد البر والبحر، فيشبهه غير المعتاد. وكالجارى مجرى التفكه، ويحتمل أيضا أن غالب أطعمتكم منها ؛ لأنكم تحرثون بالبقر، والحب، والثمار التي تأكلونها منها، وأيضا تكتسبون بإكراء الإبل وتتفعلون بألبانها ونتاجها وجلودها، وتشترون بها جميع مستلزمات الأطعمة والأشربة^(١١).

ويُعد اللحم من الأغذية الأساسية؛ لأنه غني بالبروتينات، وهي العناصر الضرورية لبناء الجسم ويمده بطاقة كبيرة.

(كما أن أكل اللحم المحتوي على الدهن يمد الجسم بالفيتامينات الموجودة في الدهون، كما أن اللحم ضروري لتجديد الدم ومقاومة الأمراض وبعض الوظائف الفسيولوجية الضرورية للجسم)^(١٢).

يقول الدكتور محمد جابر النبريص رئيس قسم الصحة المدرسية والطب الوقائي بمستشفى دبا الفجيرة وهو يتكلم عن أهمية لحوم الأنعام: (اللحوم تمد الإنسان بالبروتينات والأحماض الأمينية التي لا يستطيع جسم الإنسان تكوينها عن طريق وسائل التمثيل الغذائي المتعارف عليه.

علاوة على ذلك فاللحوم مصدر رئيس لتزويد الجسم بالعناصر المعدنية الأساسية كالحديد والكالسيوم، وكذلك العناصر النادرة مثل الستريك والسيلينيوم.

وبشكل عام فاللحوم مادة أساسية غذائية للإنسان في جميع مراحل العمر^(١٣).

٢. الشرب من ألبانها:

يقول الله تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل: ٦٦] وهذه منفعة أخرى من منافع الأنعام، وهي الانتفاع بألبانها، يقول القرطبي رحمه الله: (الفَرث: الزبل الذي ينزل إلى الكرش فإذا خرج لم يُسمَّ فرثًا يقال: أفرثت الكرش إذا أخرجت ما فيها، والمعنى: أن الطعام يكون منه ما في الكرش ويكون منه الدم ثم يخلص اللبن من الدم فأعلم الله سبحانه أن هذا اللبن يخرج من بين ذلك وبين الدم في العروق.

ثم قال القرطبي: (وقال ابن عباس: إن الدابة تأكل العلف فإذا استقر في كرشها طبخته فكان أسفل فرثًا وأوسطه لبنًا وأعلاه دما والكبد مسلط على هذه الأصناف فتقسم الدم وتميزه وتجريه في العروق وتجري اللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو في الكرش)^(١٤)

وهناك العديد من الأحاديث النبوية التي تتكلم عن منافع اللبن وفوائده بالنسبة للإنسان، فمن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرا منه، وإذا سقى لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه، فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن"^(١٥).

وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن على العسل والخمر عندما رُفِعَ إلى سدة المنتهى ليلة الإسراء والمعراج، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "فَأَتَيْتُ بِثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ: قَدَحٍ فِيهِ لَبَنٌ، وَقَدَحٍ فِيهِ عَسَلٌ، وَقَدَحٍ فِيهِ خَمْرٌ، فَأَخَذْتُ الَّذِي فِيهِ اللَّبَنُ فَشَرِبْتُ، فَقِيلَ لِي: أَصَبْتَ الْفَطْرَةَ أَنْتَ وَأُمْتُكَ"^(١٦).

إن فوائد اللبن كثيرة وعظيمة، وهي هبة من الله سبحانه وتعالى لبني الإنسان يقول ابن قيم الجوزية: (اللبن المطلق أنفع المشروبات للبدن الإنساني لما اجتمع فيه من التغذية والدموية، ولاعتياده حال الطفولية، وموافقته للفترة الأصلية) ^(١٧).

سبحان الخالق (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى) [الأعلى: ٢-٤] وهو القائل: (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَكَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل: ٦٦] كلها نعم مُسخرة لبني الإنسان.

أحدث البحوث العلمية توصلت إلى أن في البقرة غدة ثديية، هذه الغدة الثديية مقسمة إلى فصوص، وهذه الفصوص مقسمة إلى فصيفصات، وهذه الفصيفصات مقسمة إلى أجواف صغيرة هي الأسناخ، وهي محاطة بغشاء من الخلايا، حول هذه الخلايا شعيرات دموية، تأخذ الخلايا من الدم ما تحتاج إليه، وتفرز الحليب في جوف هذا التجويف، ينتهي هذا الجوف بقناة، إلى حوض الغدة، ثم إلى حوض ثدي البقرة ثم إلى حلمتها.

ولكن حتى هذه الساعة لا تعرف طبيعة عمل هذه الخلية، التي تأخذ من الخارج ما تحتاج من الدم، وتفرز الحليب في باطنها ^(١٨).

يقول العلماء: (الشيء الذي يدعو إلى العجب أنه لم يعرف حتى الآن كيف تعمل هذه الخلية، تأخذ من الجهة الوحشية، من شعريات الدم: المواد، والفيتامينات والمعادن، والبروتينات، والسكريات، والدهن، والماء، تخلطها، وتفرز من الداخل الحليب، إذ تنتج البقرة الواحدة تقريباً من ثلاثين إلى أربعين كيلو غراماً من الحليب في اليوم الواحد، وكل كيلو هو محصلة دوران ثلاثمائة لتر من الدم. في هذه الشعريات ثلاثمائة حجم، إلى أربعمائة حجم لتصنيع لتر حليب واحد، فلما قال ربنا تعالى: (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَكَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل: ٦٦] فقد أشار إلى آية عظمى دالة على عظمته

سبحانه وتعالى) ^(١٩). ونحن لا نملك أمام العطاء الإلهي إلا أن نقول سبحان من (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) [يس: ٨٢].

٣. الانتفاع بجلود الأنعام:

قال تعالى: (وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا..) [النحل: ٨٠]. إن من مظاهر الانتفاع بالأنعام اتخاذ أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، وهذه تشمل أصواف الضأن، والمعز، وأوبار الإبل، كلها منافع ينتفع بها الإنسان. يقول ابن العربي المالكي رحمه الله: (وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم قبة من آدم، وناهيك بأديم الطائف غلاء في القيمة، واعتلاء في الصفة، وحسناً في البشرية، ولم يعد ذلك صلى الله عليه وسلم ترفاً ولا رآه سرفاً؛ لأنه مما امتنَّ الله به من نعمه، وأذن فيه من متاعه، وظهرت وجوه منفعتَه في الاكتئان والاستغلال الذي لا يقدر على الخروج عنه جنس الإنسان) ^(٢٠). فسبحان من جعل لنا من بيوتنا سكناً، وجعل لنا من جلود الأنعام بيوتاً، جاءت هذه الآيات في مقام الامتنان من الخالق الذي منَّ علينا بهذه النعم التي لا تحصى، يقول وهبة الزحيلي: (هذه باقية أخرى من فضائل الله ونعمه على بني آدم، ومن دلائل التوحيد، فبعد أن ذكر الله تعالى ما منَّ به على الناس من خلقهم وما خلق لهم من مدارك العلم، ذكر ما امتنَّ به عليهم مما ينتفعون به في حياتهم، من أمور أخرى غير دوابهم، من بيوت السكن المبنية من الحجارة وغيرها، والخيام أو بيوت الشعر المصنوعة من جلود الأنعام، والأصواف والأوبار والأشعار التي تصنع منها الملابس والأثاث (المفروشات) والأمتعة التي يتجر بها ويعاش من أرباحها) ^(٢١). ونلاحظ في قوله تعالى: (أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) [النحل: ٨٠] (إن الأثاث جميع أنواع المال ولا واحد له من لفظه وقال الخليل: (أصله من الكثرة واجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر ومنه شعر أثيث أي كثير، وفُسر الأثاث بالطنافس والبُسُط والثياب الكبيرة) ^(٢٢).

يقول صاحب الظلال: (والمتاع ولو أنه يطلق على ما في الأرحال من فرش وأغطية وأدوات، إلا أنه يشي بالتمتع والارتياح. ستعرض من نعمة الأنعام ما يلبي الضرورات وما يلبي الأشواق) (٢٣).

٤. كثرة المنافع:

قلنا في بداية هذا المطلب إن المنافع ما يُنتفع به في جميع الأحوال، ويرى الإمام الرازي أنَّ المراد بالمنافع نسل الأنعام ودرُّها، حيث يقول: (المراد بالمنافع نسلها ودرها، وإنما عبر الله تعالى عن نسلها ودرها بلفظ المنفعة وهو اللفظ الدال على الوصف الأعم؛ لأن النسل والدر قد ينتفع به في الأكل وقد ينتفع به في البيع بالنقود، وقد ينتفع به بأن يبدل بالثياب وسائر الضروريات فعبر عن جملة هذه الأقسام بلفظ المنافع ليتناول الكل) (٢٤).

وفي عصرنا هذا جدَّت أمور كثيرة في حياة الناس، وهو عصر الحديد فدخلت المكنة في معظم حياتنا ومنها مكنة الزراعة والصناعة، وظهر الاقتصاد بأضرابه المختلفة، ومنها: الانتاج الاقتصادي، والحيوانات الزراعية. (ويمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك خاصة في مجال الانتاج الاقتصادي في عصرنا الحالي، فإننا نجد الأنعام أو ما يُسمى بالحيوانات الزراعية تشغل مكانة مهمة في حياة الإنسان؛ لأن وظيفتها تحويل المواد الخام إلى منتجات ومواد أرقى منها تصلح للاستخدام المباشر للإنسان، وحينما تُحول الحيوانات الزراعية تلك المواد الخام إلى لحم ولبن وصوف وجلد، فإن قيمة هذه المواد تَعْلُو وترتفع بدرجة كبيرة وتُصبح هذه المواد لاغنى عنها للإنسان العصري فاللحم واللبن مواد تمتاز بصفات وقيمة غذائية لا نظير لها في النبات) (٢٥).

ونختم هذا المطلب بما قاله الحافظ ابن كثير الدمشقي وقد جمع كل هذه المنافع مستخرجاً لها من النص القرآني: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا

وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ [النحل: ٨٠].

(يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم، يأوون إليها، ويستترون بها، وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع، وجعل لهم أيضا من جلود الأنعام بيوتا أي من الأدم، يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر، ولهذا قال: "تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم". "ومن أصوافها" أي الغنم، "وأوبارها" أي الإبل، "وأشعارها" أي المعز، والضمير عائد على الأنعام. "أثاثا" أي تتخذون منه أثاثا وهو المال، وقيل: المتاع، وقيل: الثياب، والصحيح أعم من هذا كله فإنه يتخذ من الأثاث البسط، والثياب، وغير ذلك ويتخذ مالا وتجارة. وقوله: "إلى حين" أي إلى أجل مسمى ووقت معلوم) (٢٦).

هذه جولات متعددة مع منافع الأنعام التي خلقها الله سبحانه وتعالى للإنسان لينتفع بها في هذه الحياة الدنيا ويتمتع بها إلى حين، ويشكر الله على هذه النعم؛ لأنه بالشكر تحفظ النعم من الزوال وتزداد وتكثر، وسبحان القائل: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) [إبراهيم: ٧]. وبهذا أنتهى المطلب الثاني من هذا البحث، وننتقل إلى المبحث الثالث وهو: العبر.

وسأتناول هذا المطلب من خلال: مفهوم العبر ودلالاتها.

- ١- العبرة في خلق الأنعام.
- ٢- العبرة في تذليلها.
- ٣- العبرة في منافعها.
- ٤- العبرة في جمالها وزينتها.

المطلب الثالث: العبر من الأنعام:

مفهوم العبر:

العبر جمع عبرة، وهي مما يجدر الانتباه إليها والاعتبار بها والتفكر في بديع صنع الله، وأصل العبرة تمثيل الشيء بالشيء لتعرف حقيقته من طريق المشاكلة، والعبرة في الأنعام تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم^(٢٧).

عبرة خلق الأنعام:

إذا ظهرت حقيقة العبرة ودلالاتها وهي كذلك، فانظر نظرة المتدبر المتأمل في صنع الله في كثير من مخلوقاته وخاصة الأنعام التي تتعاملون معها صباحاً ومساءً، ولكم فيها المنافع الكثيرة، لذا انظروا إليها وتدبروا في خلقها لتعلموا علم اليقين قدرة الخالق البارئ الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، لذا أمر سبحانه بالنظر إلى خلق واحد من هذه الأنعام وهي الإبل حيث قال: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) [الغاشية: ١٧] والاستفهام للتقريع والتوبيخ، والفاء للعطف على مقدر، والجملة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه وكذا ما بعدها^(٢٨).

يقول الشوكاني: (المعنى أينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه أفلا ينظرون إلى الإبل التي هي غالب مواشيهم، وأكبر ما يشاهدونه من المخلوقات (كيف خلقت) على ما هي عليه من الخلق البديع من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها قال أبو عمرو ابن العلاء إنما خص الإبل ؛ لأنها من ذوات الأربع تبرك فتحمل عليها الحمولة وغيرها من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الأعجوبة فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والإبل من أعز مال العرب وأنفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها)^(٢٩).

لذا فهي -أي الإِب- أجدر بالتأمل في كيفية خلقها وتنزيل الله تعالى لها للإنسان وكثرة منافعها، كل ذلك يستوجب النظر والتدبر وشكر الله سبحانه: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) [الأعلى: ٢-٣] وهو القائل سبحانه: (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل: ٨] فنحن نعلم أنه مامن كائن حي إلا والماء جزء أساسي منه (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) [الأنبياء: ٣٠] وقد ذكر العلماء أن هناك حيواناً من الحيوانات التي تعيش في الصحاري له رجلان طويلتان، يقفز بهما كما يقفز حيوان أستراليا الكنغر، ولذنبه خصلة من شعر يستطيع به في أثناء قفزه أن يحول اتجاهه، وهو في الهواء كذلك الطائرة تماماً، هذا الحيوان فيه ظاهرة عجيبة، حيوان كأي حيوان، له جهاز هضم، وله جهاز دوران، وفيه سائل كثيرة، ولكن هذا الحيوان لا يتناول قطرة ماء في كل حياته، فمن أين له بالسوائل وهو لا يتناول الماء إطلاقاً؟

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي: (بعض علماء الحيوانات استأنسوا هذا الحيوان، فوضّعوه في مزارع، وحملوه على شرب الماء فلم يفلحوا، لا يتناول الماء في حياته أبداً، سؤال كبير، من أين يأتيه الماء إذا؟ مع أن السوائل موجودة في كل أجهزته، ثم اكتشفوا أخيراً أنه يصنع الماء في جهازه الهضمي، من الأكسجين الذي يستنشق، ومن الهيدروجين، وهذا يحتاج إلى أجهزة بالغة التعقيد، فهذا الحيوان الذي يعيش في الصحاري، ويصنع الماء بجهازه الهضمي، يأخذ الأكسجين من الهواء، ويأخذ الهيدروجين، وهما مكونا الماء، من بعض الحبوب الجافة التي يحرص على أكلها، يأخذ منها الهيدروجين، ويصنع من هذا الهيدروجين، وذلك الأكسجين الماء الذي يعينه على أن تستمر حياته على النحو الذي ينبغي. ثم يقول: في الكون أشياء من العجب العجيب لو تراه العيون الباحثة عن الحقيقة لأيقنت بعظمة الله، فأنه على كل شيء قدير، وإن كل حيوان قد يتفوق على الإنسان بشكل أو بآخر، ولكن

الإنسان أكرمَه الله بأنَّ حمَلَهُ أمانةَ التكليف، فإذا غَفَلَ عن هذه الأمانةِ فأَيُّ حيوانٍ يعدُّ أرقى منه ؛ لأنه مسيرٌ، وغيرُ مكلفٍ، ولا يُعَذَّبُ.
تفكروا في مخلوقاتِ الله، ففي الكونِ آياتٌ لا حصرَ لها، وفي الأرضِ آياتٌ للموقنين؛ في طعامكم، وفي شرايكم، فيما حولكم من الظواهرِ التي ترونها في كلِّ مكانٍ، آياتٌ دالَّةٌ على عظمةِ الله^(٢٠).

١. عبرة التذليل:

قال الله تعالى: (وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ) [يس: ٧٢] هذه الآية الكريمة من سورة يس، وهي سورة مكية مُفَتَّحة بأحرف التهجي، وهي كسائر السور المكية تتناول أصول العقيدة وبيان قدرة الله ووحدانيته، وإثبات البعث بأدلة حسية مُشاهدة من إبداع الخالق الذي لم يسبق له مثيل. وفي هذه الآية تذكير للناس قاطبة بضرورة شكر المُنعم على ما أنعم عليهم بالنعمة الكثيرة التي لا تُحصى، ومنها نعمة تذليل الأنعام، والانتفاع بها في الطعام والشراب وغير ذلك، وهذا مدعاة للتدبر وأخذ العبر؛ لأن ذلك يدعو إلى توحيد الله سبحانه، قال فخر الدين الرازي: (ثم إنه تعالى أعاد الوحدانية ودلائل دالة عليها فقال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) [الآية: ٧١] أي من جملة ما عملت أيدينا أي ما عملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وإرادتنا)^(٢١).

إنَّ نعمة التذليل -تذليل هذه الأنعام- داعية إلى التدبر والاعتبار؛ ليزداد المؤمن إيماناً على إيمان، وهي تفتح أمام غير المؤمن ليتدبر ويلقي السمع حتى يكون ذلك سبباً في هدايته إلى طريق الحق الواضح الذي لا لبس فيه ولا غموض.

يقول قتادة بن دعامة فيما يرويه ابن كثير في تفسيره: (أي جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه،

ولو شاء لأقامه وساقه، وذلك ذليل منقاد معه، وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لसार الجميع بسير الصغير^(٣٢).

وفي قول الله تعالى: (لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) [الزخرف: ١٣-١٤].

يقول ابن العربي المالكي: (وما ينبغي لعبد أن يدع قول هذا: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والجور بعد الكور - النقصان بعد الزيادة - وسوء المنظر في الأهل والمال)^(٣٣).

٢. عبرة المنافع:

إنَّ مما يلفت النظر، ويحمل العاقل إلى التدبر والاعتبار في منافع الأنعام - وهي كثيرة - لا تعد ولا تحصى نعمة " اللبن " الذي قال الله تعالى فيه: (نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) [النحل: ٦٦] وذكرنا فيما مضى وأنا أتحدث عن المنافع التي في الأنعام ومنها منفعة اللبن، إنَّ العلماء قالوا: (لكنَّ المعجزة أنَّ هذا اللبن يخرج من بطون البقر خالصاً من بين فرث، ودم).

أخذتُ البحوث العلمية توصلتُ إلى أنَّ في البقرة غدة ثديية، هذه الغدة الثديية مقسمة إلى فصوص، وهذه الفصوص مقسمة إلى فصيفصات، وهذه الفصيفصات مقسمة إلى أجواف صغيرة هي الأسناخ، وهي محاطة بغشاء من الخلايا، حول هذه الخلايا شعيرات دموية، تأخذ الخلايا من الدم ما تحتاج إليه، وتفرز الحليب في جوف هذا التجويف، ينتهي هذا الجوف بقناة، إلى حوض الغدة، ثمَّ إلى حوض ثدي البقرة، ثمَّ إلى حلمتها^(٣٤).

أنا هنا لا أعدد منافع هذه الأنعام ولا أحصيها؛ لأن ذلك فوق طاقة البشر، ولأن الخالق سبحانه وتعالى قال: (وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا) [إبراهيم: ٣٤] و"نعمة" جاءت هكذا نكرة لتعم، وليتذكروا الالتفات إليها والاعتبار بها وتقوية الإيمان بوسيلة التفكير والتدبر.

لو أن الإنسان فكر في خلق السماوات والأرض، أو فكر في الحيوانات التي حوله، أو فكر في النباتات التي يأكل منها، أو فكر في خلقه، لأخذه العجب العجيب، ولخر لله ساجداً، ولأطاعه حق الطاعة، ولعبده حق العبادة، هذا الإله العظيم الذي يصنع لك الحليب من هذا الحشيش الذي تأكله البقرة، هل يستطيع الإنسان أن يحول هذا الحشيش إلى حليب؟^(٣٥).

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا حيلة لنا ولا قدرة إلا ما تفضلت به علينا، فلك الحمد في الأولى والآخرة.

٣. عبرة الجمال:

قال الله تعالى: (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ) [النحل: ٦]، (وذلك أن جمالها لا يعود إليها منه شيء، فإنكم أنتم الذين تتجملون بها كما تتجملون بثيابكم وأولادكم وأموالكم، وتعجبون بذلك، وخص الله هذين وقتين - وقت الرواح ووقت السرحة - بالذكر لاهتمام الرعاة بهما حيث الذهاب والإياب وفي ذلك مفاخرة بالقطيع بذكر نعمة الله على الإنسان، وقد ذم الرواح على الذهاب؛ لأن الفائدة فيها أتم فمجئها يدل على الشبع وكثرة الحليب مما يملأ النفوس بهجة وسروراً والعيش متعة، فهي عنصر للغذاء وأداة إنتاج في الاقتصاد)^(٣٦).

إن التفكير في مخلوقات الله أمر تعبدي، فالذين يتفكرون هم الذين يدركون حكمة التدبر، وهم يربطون بين الظواهر الكونية كظاهرة المطر وما ينشئه على الأرض من حياة، وشجر، وزرع، وثمار (ومن نعم الله على المسلم أن

جعل له من مخلوقاته ما يبعث في نفسه السرور والارتياح كالنظر إلى الأنعام؛ لأن الناظر إليها يرى جمال خلق الله (صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل: ٨٨] فالجمال غُنصر أصيل وليس الأمر متوقف على تلبية الضروريات من الطعام والشراب والركوب، وسائر وجوه الانتفاع، وفي المقابل يجب على المسلم أن يذكر الله ويشكره^(٣٧). وصدق الله العظيم القائل: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [البقرة: ١٥٢].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى الذي ختم الله به المرسلين كما ختم برسالته الرسالات. بهذا أكون قد وصلت إلى نهاية هذا البحث الذي سميت: الأنعام في القرآن الكريم - منافع وعبر (دراسة موضوعية). بينت فيه مفهوم الأنعام وأنواعها وهيئتها التي خلقها الله عليها، وضربتُ مثلاً بخلق الإبل؛ لأن القرآن لفت النظر إلى كيفية خلقها (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) كما ذكرتُ دون حصر المنافع المستفادة من هذه الأنعام مُستهدياً في كل ذلك بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية. ثم تكلمت عن العبر والعظات التي دُعي الإنسان إلى النظر بعين التدبر والتفكر ليزدادوا إيماناً على إيمان، إلى غير ذلك مما هو في طيات هذا البحث. أسأل الله التوفيق والسداد إنه نعم المولى ونعم النصير.

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢. انتاج اللبن واللحم، مصطفى كمال عمر، ط١، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، ١٩٧٤م.
٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٣م.
٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.
٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨ هـ.
٦. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة بحث الكتاب والسنة- كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط١، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م.
٧. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م.
٨. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط١، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.
١١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

١٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر، ط١، دار طوق النجاة، الرياض، ١٤٢٢هـ.
١٣. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧ م.
١٤. الغذاء في القرآن والعلم، جمال الدين حسن مهران، ط١، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٩٨. الغذاء في القرآن والوقاية من أمراض العصر، محمد جابر النبريص، دار النحوي،
١٥. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط١، دار الفكر، بيروت، د.ت.
١٦. فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
١٧. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢ هـ.
١٨. الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
١٩. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٢٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تح: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩ م.
٢١. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٢٢. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ٢٠٠٥ م.

الهوامش

- ١/ انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني، تح: عبد السلام محمد هارون، ٤٤٦/٥، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م. ولسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ٥٨٥/١٢، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
- ٢/ جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، ٤٥٧/٩، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ٣/ أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، ١٢/٢، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٤/ المصدر السابق، ١٢/٢-١٣.
- ٥/ في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢١٦١/٤، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- ٦/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ١١٦/٣٠، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٧/ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تح: محمد حسين شمس الدين، ٣٧٨/٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ. و صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ص٥٦٨، ط١، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧ م. و أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ٥/ ٥٦٣، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٣م.
- ٨/ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، ١٦٦/٢، ط٢، دار المكتبي، دمشق، ٢٠٠٥ م.
- ٩/ فقه الزكاة، يوسف القرضاوي، ٢٠٢/١-٢٠٣، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- ١٠/ معجم مقاييس اللغة، ٤٦٣/٥.
- ١١/ انظر: الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تح: عبد الرزاق المهدي، ٥٥٥/٢، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- وتفسير مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ١٧٥/١٩، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

- ١٢/ الغذاء في القرآن والعلم، جمال الدين حسن مهران، ص ٢٠٢-٢٠٣، ط ١، مكتبة الأنجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٩٨.
- ١٣/ الغذاء في القرآن والوقاية من أمراض العصر، محمد جابر النبريس، ص ١٩٨، دار النحوي،
- ١٤/ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ١٢٥/١٠، ط ١، دار الشعب، القاهرة، د.ت.
- ١٥/ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الأشربة، باب ما يقول إذا شرب اللبن، حديث رقم (٣٧٣٠)، ٣/٣٣٩، ط ١، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
- ١٦/ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر، كتاب الأشربة، باب شري اللبن، حديث رقم (٥٦١٠)، ٧/١٠٩، ط ١، دار طوق النجاة، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ١٧/ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ٤/٣٥٤، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٨/ موسوعة الإعجاز العلمي، ٢/١٦٣-١٦٤.
- ١٩/ المصدر السابق، ٢/١٦٣-١٦٤.
- ٢٠/ أحكام القرآن، ابن العربي المالكي، ٣/١٤٨-١٤٩.
- ٢١/ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ١٤/١٩٧، ط ٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨ هـ.
- ٢٢/ الجامع لأحكام القرآن، ١٠/١٥٩.
- ٢٣/ في ظلال القرآن، ٤/ ٢١٨٧.
- ٢٤/ تفسير الرازي، ١٩/١٧٥.
- ٢٥/ إنتاج اللبن واللحم، مصطفى كمال عمر، ص ١٠-١١، ط ١، دار المطبوعات الجديدة، الاسكندرية، ١٩٧٤م.
- ٢٦/ تفسير القرآن العظيم، ٤/٥٠٧.
- ٢٧/ تفسير القرطبي، ١٠/١٢٣.
- ٢٨/ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ٥/٤٣٠، ط ١، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- ٢٩/ المصدر السابق، ٤٣٠/٥.
- ٣٠/ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ١٧٢/٢.
- ٣١/ تفسير الرازي، ٣٠٦/٢٦.
- ٣٢/ تفسير ابن كثير، ٥٢٨/٦.
- ٣٣/ أحكام القرآن، ابن العربي المالكي، ١٠١/٤.
- ٣٤/ موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ١٦٤/٢.
- ٣٥/ المصدر السابق، ١٦٥/٢.
- ٣٦/ زاد المسير، ٤٣٠/٤.
- ٣٧/ التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة بحوث الكتاب والسنة- كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ١٤٣/٤، ط١، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م.